اسم الدرس: بين الزينة والقيمة | وقفات مع سورة الكهف آية (46)
تصنيف الدرس: عن القرآن

{ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا} [الكهف: ٤٦]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولد ..

الحمد لله الذي خلق السماواتِ والأرض وجعل الظلماتِ والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ...

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا ..

الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه..

وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح لهذه الأمة، فما ترك خيرًا إلا ودلّنا عليه، وما ترك شرًّا إلا وحذّرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد ﷺ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

أما بعد..

أحبتي في الله .. أُكرر دائمًا وأبدًا: أن الله عزَّ وجلَّ لم يترك الخلق سُدىً، ولم يخلُقهم عبثًا، ولكن خلقهم لغاية، قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذريات:٥٦] ، ولتحقيق هذه الغاية أرسل الله عزَّ وجلَّ الرسل وأنزل الكتب ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيّ عن بينة، حتى لا يكون للناس حُجة على الله عزَّ وجلَّ بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، فمن تمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى وتمسك بسنة النبي ﷺ فقد نجا وأفلح ومن أعرض عنهما فقد خاب وخسر.

- أحبتي في الله .. في سيرنا في طريق الحياة ننسى كثيرًا هذه الغاية، أو نتناسى، أو نتشاغل بكثرة الأسباب والشواغل وبالفتن من حولنا، ننسى هذه الغاية – **العبودية لله سبحانه وتعالى**– فيأتي القرآن وتأتي سنة النبي ﷺ لتُذكِرنا بهذه الغاية، **فمما شُرِع لنا ومما استُحب لنا أن نقرأه في كل أسبوع سورة الكهف، هذه السورة العظيمة التي شُرع لنا أن نقرأها في كل أسبوعٍ حتى تُذكرنا بهذه الغاية العظيمة من وجودنا وحتى تضبط لنا الموازين..**
- إذا اختلت هذه الموازين في سيرنا واختلت القيم والمبادئ والمعايير واختلت هذه الأشياء أثناء السير في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة، تأتي سور القرآن –**ولا سيما سورة الكهف**–

لتضبط لنا الميزان، لتضبط لنا المعايير، لتُبين لنا القيم، لتُبين لنا ما هي الحقائق وما هي الأشياء التي يرضى عنها ربنا سبحانه وتعالى.

➢ قال ربنا سبحانه وتعالى في هذه السورة التي تُبين الحقيقة واضحة بصورة جلية واضحة، قال ربنا سبحانه وتعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: ٤٦].

حقيقة واضحة: المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

- هذه الآية جاءت بعد شوطٍ طويل من نصائح من القرآن، جاءت للنبي ﷺ ألا ينشغل بهؤلاء الأغنياء المعرضين وأن يقبل على الفقراء المقبلين: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ} [الكهف: ٢٨].
- هذه الآية جاءت بعد شوطٍ طويل من بيان كيف تنازع ذلك الرجل الغني المشرك –ذلك الرجل الغني الكافر– مع أخيه الفقير المؤمن، وكيف أن العاقبة كانت للإيمان بعيدًا عن الفقر والغنى: {هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ} [الكهف:٤٤].
- جاءت هذه الحقيقة بعد مثَل واضح للحياة الدنيا: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} [الْكَهْفِ: ٤٥]

➢ مما قيل في سبب كل هذا الشوط من الآيات الكثيرة أن المشركين الأغنياء كانوا يتفاخرون على الفقراء المؤمنين؛ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وغيرهما كانوا يتفاخرون على سلمان وخباب وصُهيب، فنزلت هذه الآيات لتُبين أن العاقبة للإيمان بعيدًا عن قضية الغنى والفقر، وأن المال والبنين هما مجرد زينة وليسا قيمة.

أكرر: أنهما زينة، يكتسبان القيمة بحسب المُتزين بهما، بمعنى:

❖ قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص: (ألا أرسلك في جهاد) في غزوة (تغنم منها) يكن معك مالًا حلالًا من غنيمة من الجهاد، فقال: "يا رسول الله إنما أسلمت لوجه الله لا رغبةً في المال"،

فقال له النبي ﷺ: (نعمَ المالُ الصّالحُ للرَّجلِ الصّالحِ [1])، أصبح المال صالحًا حينما تملكه الرجل الصالح، ويُصبح المال فاسدًا حينما يتملكه الرجل الفاسد، (نعم المال الصالح للرجل الصالح).

❖ فالمال في حد ذاته هو مجرد زينة لا يكتسب قيمة في حد ذاته، النبي ﷺ حتى يُبين هذه المعايير واضحة، مرّ رجل من الأشراف –الأغنياء– فقال ﷺ إما لرجلٍ بجواره أو لأناسٍ في المسجد: (ما تقولون في هذا؟[2]) قالوا: "رجلٌ من الأغنياء، هذا حريٌّ إذا تكلم أن يُسمع له" أي يقول الذي يريده لأنه غني، "وإذا خطب أن يُنْكَح" أي لو تقدم للخطبة سيقبلونه، "وإن شفع يُشَفَّع"، فسكت النبي ﷺ، فمر رجلٌ من الفقراء، فقال: (وما تقولون في هذا؟) قالوا: "رجلٌ فقير حريّ إذا تكلم ألا يُسمع له" لا قيمة لكلامه فهو ليس من الأغنياء "وإذا خطب ألا ينكح" لو تقدم لأي بيت سيرفضونه "وإن شفع ألا يُشَفَّع". فقال النبي ﷺ: (لهذا) –أي الفقير– (خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا).

❖ وفي رواية أن النبي ﷺ كان جالسًا في المسجد، فلا نتحدث هنا عن كافرٍ ومؤمن، فقال: (يا أبا ذر، انظُر أرفع رجلٍ في المسجد[3]) أي أكثر رجل من الرفعة ومن الغنى (تراه بعينيك)، فبحث سيدنا أبو ذر حتى وجد رجلًا عليه حُلة، عليه ملابس غني من الأغنياء، فأشار أبو ذر للنبي ﷺ وقال: "هذا"، أنا أرى أن هذا أغنى شخص وأرفع رجل صاحب المكانة العالية، فقال له: (يا أبا ذر انظُر أوضع رجل في المسجد تراه بعينيك) فبحث فوجد أبو ذر رجلًا في المسجد عليه أخلاق.. الحديث في مسند أحمد، وأخلاق تعني ثيابًا مرقعة كما في حديث (إنَّ الإيمانَ

---

[1] [عن عمرو بن العاص:] نعمَ المالُ الصّالحُ للرَّجلِ الصّالحِ
العراقي (ت ٨٠٦)، تخريج الإحياء ٢٨٩/٣ • إسناده صحيح بلفظ : نعما وللمرء • أخرجه أحمد (١٧٧٦٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان (٣٢١٠) باختلاف يسير

[2] مرَّ على رسولِ اللهِ صلَّى الله عليْهِ وسلَّمَ رجلٌ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليْهِ وسلَّمَ : ما تقولونَ في هذا الرَّجلِ ؟ قالوا : رأيْكَ في هذا ، نقولُ : هذا من أشرافِ النَّاسِ ، هذا حريٌّ إن خطبَ ، أن يخطَّبَ ، وإن شفعَ ، أن يشفَّعَ ، وإن قالَ ، أن يسمعَ لقولِهِ ، فسَكتَ النَّبيُّ صلَّى الله عليْهِ وسلَّمَ ، ومرَّ رجلٌ آخرُ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليْهِ وسلَّمَ : ما تقولونَ في هذا ؟ قالوا : نقولُ ، واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، هذا من فقراءِ المسلمينَ ، هذا حريٌّ إن خطبَ ، لم ينْكح ، وإن شفعَ ، لاَ يشفَّع ، وإن قالَ ، لاَ يسمع لقولِهِ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليْهِ وسلَّمَ : لَهذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا.
الراوي : سهل بن سعد الساعدي | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم : 3342 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

[3] وروى أحمد (21493) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَرْفَعَ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ) قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا ، قَالَ: فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَوْضَعَ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ) قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَعِيفٌ عَلَيْهِ أَخْلَاقٌ ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا.
قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهَذَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُرَابِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا) .
وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم [4]) أي: يتقطع، فعليه أخلاق أي ملابس مقطعة. فقال أبو ذر: "هذا"، هذا الرجل هو أوضع رجل أراه في المسجد فقال له: (يا أبا ذر، لهذا..) أي الفقير (يوم القيامة خيرٌ من قراب الأرض مثل هذا) تصحيح المعايير.

القضية ليست في الغنى والفقر، القضية في الإيمان، فيما يحمله القلب، فيما تُوجَّه إليه هذه الأشياء {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦] ليسا بقيمة في حد ذاتهما.

المصيبة أن يتحول المال إلى قيمة في حد ذاته، أن يُقيَّم الرجل بماله، فعندما نرى أحدهم يركب سيارة كذا، معه هاتف نوعه كذا، عدد المتابعين له كذا، الأرقام التي حوله كذا، نقول: إذًا يساوي كذا، أصبحت الأرقام والمال والمادة هي القيمة، ولم ننفذ إلى داخله، فقد يكون رجلًا كما قال النبي ﷺ: (الرجلُ التَّافِهُ ، يتكلَّمُ في أَمْرِ العَامَّةِ [5])، قد يكون رجلًا سفيهًا كما أخبر الله عزَّ وجلَّ: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة: ١٣٠] ، أصبحنا نقيم الأشياء بالتقييم المادي بعيدًا عن تقييم الشرع، فيقول ربنا سبحانه وتعالى موضحًا هذه الحقيقة {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦] لأنها تفنى، لأنها لا تبقى.

- إذًا ما هي القيمة يا رب؟ كيف يكتسب الإنسان قيمته؟

قال النبي ﷺ (لِكُلِّ عبدٍ صِيتٌ [6]) -سمعة- (في السماء) كل فرد له سمعة؛ معروف في السماء، لما قال يُونس عليه السلام "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" في بطن الحوت، بعض الآثار المروية عن بني إسرائيل أن الملائكة قالت: "يا رب صوتٌ معروف من مكان غير معروف"، نحن نعرف هذا الصوت، لطالما ذكرك، لطالما ابتهل، لطالما تورع، {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات: ١٤٣] قال كثيرٌ من أهل العلم: كان من المسبحين ومن المصلين في

[4] إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ فسَلُوا اللهَ تعالى أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم
الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : الهيثمي | المصدر : مجمع الزوائد
الصفحة أو الرقم : 57/1 | أحاديث مشابهة | خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن

[5] [عن أنس بن مالك وأبي هريرة:] سيأتي على الناسِ سنواتٌ خدّاعاتٌ؛ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: الرجُلُ التافِهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامةِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٣٦٥٠ • صحيح

[6] [عن أبي هريرة:] لِكُلِّ عبدٍ صِيتٌ، فإنْ كانَ صالِحًا وُضِعَ في الأرضِ، وإنْ كان سيِّئًا وُضِعَ في الأرْضِ
السيوطي (ت ٩١١)، الجامع الصغير ٧٣٠٥ • ضعيف • أخرجه البزار (٩٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٤٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١٦٣/٢) باختلاف يسير

وقت الرخاء، له صوتٌ معروف في السماء، له صيتٌ معروفٌ في السماء.. هكذا يكتسب الإنسان قيمته.

- فقال ربنا سبحانه وتعالى: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}[الكهف: ٤٦] الأعمال الصالحة التي تبقى، قال بعض أهل العلم كان من المتوقع أن يقول ربنا: والصالحات الباقيات أي الأعمال الصالحة التي تبقى، لكنه قدّم الباقيات؛ لأن السياق في السورة يتكلم عن الأشياء التي تفنى، {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}[الكهف: ٤٦] الآية التي بعدها مباشرة: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} [الكهف: ٤٧] كل شيء يفنى {وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧] ليس عليها شيء، ليس عليها زينة كما قال ربنا في أول السورة في نفس السورة {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا} [الكهف: ٧] لمَ يا رب؟! {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا} [الكهف:٧ ، ٨] يوم القيامة {صَعِيدًا جُرُزًا} [الكهف: ٨] تظهر الأرض على حقيقتها، هكذا يظهر كثيرٌ من الناس على حقيقته يوم القيامة؛ يوم الواقعة { خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة: ٣] موازين مختلفة يوم القيامة، رُبَّ إنسان في الدنيا مرفوع يأتي مخفوضًا يوم القيامة، ورُبَّ إنسان مدفوع بالأبواب لا يُؤبه له في الدنيا يأتي في رفعة يوم القيامة..

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف: ٤٧ ، ٤٨] أي جئتمونا بدون مال وبدون بنين، أتيتم فرادى {كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ٩٤].

- إذًا هل نزهد في المال والبنين؟ لا؛ يقول ربنا {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} [الكهف:٤٦] الأعمال التي تبقى. قال النبي ﷺ في الأعمال التي تبقى: (صدقة جارية) وهذه في المال، (وولدٌ صالحٌ يدعو له) وهذا في البنين، إذًا؛ تكتسب هذه الأشياء قيمتها على حسب موضعها: من يتزين بها، فيمَ تُوجه، فيمَ تُستعمل، المصيبة كما قلت أن تتحول إلى قيمة، ويوزن بها الناس ويُقَيم بها الناس وتصبح هي القيمة في حياة الناس ..
- المصيبة أن يكتسب الإنسان قيمته من خارجه لا من داخله، بمعنى أن الإنسان يشعر أحيانًا بنقص، فيريد أن يتكبر، كما قال صاحب الجنتين الكافر: {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف: ٣٤] أنا عندي المال والبنون أكثر منك، فإذًا أنا أفضل منك. معيار خاطئ، مصيبة

أن يكتسب الإنسان قيمته من خارجه؛ من ثيابه، من سيارته، من ماله، من أولاده، لكنه في داخله أجوف، لكنه في داخله فيه خواء، فيه رقة في دينه، هذه مصيبة، لماذا!!

- هذه الأشياء الخارجية كلها تزول في الدنيا أو في الآخرة، إن لم تزل في الدنيا زالت في الآخرة، وجاء الإنسان يوم القيامة فردًا وحده، وتبقى الأعمال الصالحة {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن:٢٧] تبقى الأعمال الصالحة والتي أريد بها وجه الله سبحانه وتعالى.

فإذًا المصيبة -أكرر- أن يكتسب الإنسان قيمته من خارجه مثل أن نقيم شخصًا، فنقول: "كم معك؟ معك كذا إذًا تساوي كذا"، أصبحت المسابقات في الماركات العالمية أو فيما يركب أو ما يلبس أو له شهرة معينة، هذا تقييم الناس.

المؤمن يكتسب قيمته أولًا من داخله، من إيمانه بربه، مما يحمل في صدره من كتاب الله، من الإيمان بالغيب، هكذا يكتسب المؤمن أولًا قيمته، ثم هذه الأشياء الخارجية إذا اكتسبها يوجهها في طاعة الله سبحانه وتعالى، كما قال ﷺ :(نعم المال الصالح للرجل الصالح) لماذا؟

كل هذه الأشياء تفنى، ماذا لو فقد الإنسان هذه الأشياء الخارجية؟ فإذا كانت قيمة أحدهم محددة بالأشياء التي حوله، فلو فقدها لأصبح بدون قيمة، لا شيء، لأن قيمته مكتسبة من الخارج وليس من الداخل.

- لكن لما هُزم المسلمون في أُحد وفقدوا كل شيء قال لهم ربهم: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [آل عمران: ١٣٩] كيف هذا ونحن مغلوبون؟ {وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩] بهذا الإيمان الذي في صدوركم.

❖ **شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "ماذا يفعل أعدائي بي، وجنتي في صدري؟!" القيمة مكتسبة من الداخل ليست من الخارج، أيًّا كان ما سيفعله بي من سجنٍ أو نفي أو قتل، أيًّا كان، كل هذا تحكمٌ في البدن لا في القلب.**

القلب بين يدي الرب سبحانه وتعالى، القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، لكن البشر يملكون الأذى في البدن، في المال، فقال: "ماذا يفعل أعدائي بي! جنتي في صدري، نفيي سياحة، وسجني خلوة، وقتلي شهادة" هو يصطحب جنته معه في أي مكان، هكذا يكتسب المؤمن القيمة، لكن حينما

تكون قيمة الإنسان مكتسبة من المال أو الهاتف المحمول أو من سيارة، فإنه حينما تُفقد هذه الأشياء ينهار الإنسان؛ لأنه فقد جزءًا من قيمته، أصبح الإنسان شيئًا ماديًّا من الأشياء، هذا الذي يسمونه "التشيؤ"، أن يصبح الشيء الذي له قيمة مجرد شيء مادي يباع ويشترى، الإنسان يُثَمن، مثل اللاعب الذي يباع، يقال: كم سعر هذا؟ هذا بكذا مليون، وهذا بكذا، أصبح يُباع ويُشترى، له ثمن، فأصبح الإنسان شيئًا ماديًّا!

انظروا لما الإنسان الذي نفخ فيه الله عزَّ وجلَّ من روحه، وكرَّمه وأسجد له ملائكته، ينزل إلى الأرض، إلى الطين، يلتصق بالطين، يصبح شيئًا ماديًّا تذروه الرياح، هكذا ينزل الإنسان إلى أخس من الأنعام، يصبح طينًا (تَعِسَ عبدُ الدينارِ تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَمِ [7]..)

- تخيل لما الإنسان يصبح شيئًا ماديًّا، لذلك قارون لما أراد أن يفتخر على قومه {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ} [القصص: ٧٦] كان أمامه الفرصة أن يتبع الوحي {فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ} [القصص: ٧٦] أعرض {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ} [القصص: ٧٦] هذا المال ليس قيمة، بل يكتسب قيمته بحسب أعمالك، حسب إيمانك، بحسب ماذا ستفعل به {وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ} [القصص: ٧٧] فأعرض، فماذا فعل بعد ذلك!! {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ} [القصص: ٧٩] أصبح هو والمال شيء واحد تداخل مع الزينة {فِى زِينَتِهِۦ}، أصبح هو والمركب والمال شيئًا واحدًا، أي أصبح هو مثله، يُفتخر به، مثل ثمن الساعة، مثل ثمن العربة، هو كله على بعضه شيء مادي، قيمة مادية ككل، فلما جاء الخسف جاء بهما {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ} [القصص: ٨١] أصبح شيئًا ماديًّا يُخسف مع الدار، وأصبح قطعة مادية يفتخر بها ويفاخر بها.

➢ لكي يصبح الإنسان مكرمًا، فإن تكريمه بسجوده، تكريمه بتعلمه للوحي، في أول ما نزل من القرآن القيمة اكتُسِبت بـ { ٱقْرَأْ } [العلق: ١] و {واسجد واقترب} [العلق: ١٩] ، هكذا يكتسب الإنسان قيمته أيًّا كان غنيًّا أو فقيرًا، هذه الأشياء هي مجرد زينة تأخذ قيمتها بحسب

[7] [عن [أبو هريرة]:] تعِس عبدُ الدينارِ، تعِس عبدُ الدرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٣٥/٢٨ • صحيح • أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

المتزيّن بها، فإن كان صالحًا ووجهها للأعمال الصالحة التي تبقى أصبحت هذه الزينة من الباقيات الصالحات –ذات قيمة–.

- { وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ }[الكهف:٤٦] لا عند الناس، الناس لهم معايير مختلفة وموازين مختلة، هذا الميزان يُصحح يوم القيامة، { خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة: ٣] ، { خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا}[الكهف: ٤٦] يرجوه الإنسان عند المصائب.

كل شيء حولك قد يُفنى، قد يتركك الناس، المال، المناصب.. كل هذه الأشياء تُفقد في لحظة! {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}[القصص: ٨١] {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} [الكهف: ٤٢] لأن قيمته كانت في الجنة {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}[الكهف: ٣٥] هو أصلًا قيمته كانت في ماذا؟ كانت في الأموال التي معه! فلما ذهبت الأموال أصبح بدون قيمة! فبعد ما خسر الجنة في سورة الكهف: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا}[الكهف: ٤٢] هي خاوية! أصبح صفرًا {وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}[الكهف: ٤٢] انتهى الأمر!! {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ }[الكهف: ٤٣ ، ٤٤] في هذه اللحظات عند نزول الابتلاءات تظهر الأشياء على حقيقتها وتظهر قيمة الأشياء الحقيقية ..

- إذًا أحبتي في الله، لابد للإنسان أن يكتسب قيمته من داخله، من غذاء روحه أولًا، أن يكون الإنسان مؤمنًا، ألا ينظر إلى الناس على أنه مجرد سلعة.. كانوا يضربون مثلًا –علماء الاجتماع– يقولون: تخيل إنسانًا ذا شهادة علمية مرموقة، ثم ركب حافلة –الأتوبيس–، ثم نظر من نافذة الحافلة ووجد شخصًا يركب سيارة فخمة، وهو معروف أنه من السفهاء، فبدأ يقول: "كيف أكون أنا في حافلة وهو.." هو الآن يقارن؛ لا بين نفسه وروحه وعقله وبين هذا الرجل، إنما هو يقارن بين الحافلة والسيارة، أصبحت المقارنات مقارنات مادية، هو اعتبر نفسه أنه الحافلة، واعتبر الرجل مجرد سيارة! فأحيانًا تنظر إلى إنسان معه هاتف مثلًا غالي الثمن، فجأة يرتفع في عينك وقيمته ترتفع في عينك، وهذا شيءٌ خارجي عنه، قد يسقط منه.. هل سينهار في نظرك!

أي أن معايير الناس متقلبة بحسب المال! بحسب البنين! بحسب المناصب! هذه الأشياء المتقلبة لا تبقى، هذه الأشياء تفنى ! قال ربنا {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف:٤٦]

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد ﷺ..

يقول ربنا سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل، هؤلاء الذين ارتضوا بالحياة الدنيا، وارتبطوا بالمادة، وارتبطوا بالطين، ارتبطوا بالمال وأعرضوا عن وحي الله سبحانه وتعالى، يقول ربنا سبحانه وتعالى عنهم {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ} [البقرة: ٩٦] أيًّا كانت الحياة؛ لذلك جاءت الحياة هنا نكرة، أيًّا كانت! بل هم أحرص من المشركين {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ}[البقرة: ٩٦] أن اليهود أحرص على الدنيا وعلى زخارفها من المشركين {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ}[البقرة: ٩٦] لما تسيطر القيم المادية فقط على الإنسان يكون حريصًا على الحياة، يكون عنده حالة من الشَّرَه، زيادة في الحرص ولا يريد الآخرة {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا}[يونس: ٧] كما قال ربنا في سورة يونس {وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[يونس: ٧] ليس فقط ذلك {وَاطْمَأَنُّوا بِهَا}[يونس: ٧] يعني لا يريد الآخرة، ولا يرجو لقاء ربه، ورضي بالدنيا واطمأن بها .. هكذا فعل بنو إسرائيل..

فالوصف القرآني هذا حينما تراهم أحرص الناس على حياة، بل أحرص من المشركين!

إذًا حينما تسيطر القيم المادية في مجتمع تختل الموازين، كما قلنا في حديث النبي ﷺ، كان حريصًا على ضبط هذه المعايير، أن تقييم الناس ليس بالمادة! (هذا) –أي الفقير– (خيرٍ من ملء الأرض مثل هذا).

- لذلك من الأشياء العجيبة حينما يُسأل إنسان ما رأيك في فلان؟ ويبدأ التقييم بأن معه كذا ومنصبه كذا وله كذا.. فقط! هل كل التقييم خارجي؟! ماذا يحمل بداخله؟! ماذا يحمل في صدره! حينما تنفض عنه هذه الأشياء، حينما يلقى في قبره، حينما يتركه المال والبنون.. ماذا يحمل؟! ماذا يحمل في قبره؟ ماذا يحمل في صحيفته؟ {وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ} [الكهف: ٤٨،

٤٩] **ماذا يحمل في كتابه؟!** {فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا} [الكهف: ٤٩] **ما هذا! نحن كنا فرحين بالمال والبنين!** {مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ} [الكهف: ٤٩] **لم يجدوا المال والبنين!** {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩].

- المصيبة الأعظم أنه ليس فقط أصبح في المجتمعات المادية تقييم الناس على حسب السيارة والهاتف والعلامة التجارية والمتابعين والشهرة، وكم معه من الأموال، وكم ثمنه الآن في لاعبي الكرة! ليس فقط أن تقييم الناس قد أصبح مبنيًا على المادة فقط! فهذه مصيبة، لكن المصيبة الأعظم تقييم الأفكار والعقائد على حسب المادة! فعندما تطرح عليه فكرة أو عقيدة أو مبدأ، يقول لك كم يدر هذا من الأرباح؟! تقول له مثلًا التمسك بالدين، فيقول مثلًا هل هذا سيُجدي علينا خبزًا نأكله؟ أي أصبحت المجتمعات المادية ليس فقط في تقييم الناس، لا، بل في تقييم العقائد!

يقول ربنا سبحانه وتعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ} [الحج: ١١] قال ابن عباس في حديث البخاري أن هناك من يتعامل مع الدين تعاملًا ماديًا؛ يقولون نحن نُسلِم، نجرب الإسلام، "فإن أنتجت الإبل وأخرجت الأرض الثمار قالوا هذا دينٌ مبارك، وإن لم تنتج الإبل ولم تخرج الأرض قالوا هذا دين سوء!".

- البعض يفعل هكذا، تأتي لتكلمهم عن الإسلام، عن الإيمان، يقول لك: "لم يعد هذا يدر علينا ما نأكله"، فتتعجب {خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف:٤٦] ، تكلمه عن أن هذه الوظيفة حرام، فيقول لك لكنها تأتي بالمال! فأنت تتعجب!! {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ} [النساء: ١٠] هذا التوصيف القرآني للمال الحرام! فأصبحت الموازين مختلة في المجتمعات التي ينتشر فيها التقييم المادي ..

- فلنرجع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، دعك من الناس، دعك من كلام الناس، مَن سينشغل بكلام الناس سيتقلب في الموازين! يرى الناس ماذا يحتاجون ويرضيهم! القصة الرمزية المشهورة أن رجلًا كان معه ابنه، ومستويان على حمار ثم مشوا، فقال الناس "انظروا إلى الرجل الظالم، يستوي هو وابنه على الحمار! ما أظلمهم!، فنزل الرجل وترك ابنه على ظهر الحمار، فقالوا "انظروا إلى الابن الغير مهذب!، أنزل أبوه وامتطى هو الحمار"، فركب هو وأنزل ابنه، فقالوا:

"انظروا إلى الرجل الظالم! ترك ابنه المسكين يمشي!!"، نزلا هما الاثنان وتركا الحمار، قالوا "هذا الرجل مجنون"، فحملا الحمار!

هو مشغول بكلام الناس، فحمل كلاهما الحمار وسارا .. انظر إلى من ينشغل بكلام الناس يظل يتقلب في الأوضاع، الناس اليوم سيرضيها أني أشتري هذه السيارة أو أني أريد أن أُفاخر، مثل الآية التي عندنا في سورة الكهف {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[الكهف: ٣٤] هو مشغول بالمباهاة مع الناس، ليس مشغولًا بأن يرتقي في الدرجات عند الله سبحانه وتعالى، ليس مشغولًا بأنه سوف يحاسب، ليس مشغولًا باتباع النبي ﷺ.

- إذًا أحبتي في الله.. الرجوع إلى القرآن، الرجوع إلى سنة النبي ﷺ يضبط المعايير، يضبط الموازين، الناس متقلبون، أفكار الناس متغيرة، من ينشغل بالناس لن يصل إلى شيء! لكن الذي ينشغل بالله يصل، يصل إلى الفردوس الأعلى..
- إذًا أحبتي في الله أكرر، المعلومة الأساسية التي أريد أن أخرج بها من هذه الخطبة {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الكهف:٤٦] أي هما مجرد زينة وليسا قيمة، لا يوزن بهما الناس، لكن يكتسبان القيمة بحسب من تزين بهما وبحسب المكان الذي يوجهان إليه؛ لذلك قال ربنا بعدها {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}[الكهف:٤٦].

لذلك العلماء اختلفوا في الباقيات الصالحات، هل هي الأذكار؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؟ هل هي الصلوات الخمس؟ هل هي أذكار الصباح والمساء؟ **لذلك الإمام الطبري قال: "كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله".**

إذًا المال لو تحول إلى عملٍ صالح يبتغى به وجه الله، انتقل من زينة الحياة الدنيا إلى الباقيات الصالحات، البنون إذا كانوا عملًا صالحًا وابتغي به وجه الله، أن أعلم الطفل القرآن، أعلمه الدين، الإسلام، اتباع سنة النبي ﷺ.. انتقل من الزينة إلى الباقيات الصالحات!

إذًا المؤمن الكيس الفطن الذي يجعل كل زاده في الباقيات الصالحات! لا يفتن بالدنيا، ولا يفتن بالمال، ولا يفتن بالمادة، ولا ينشغل بمعايير الناس.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، اللهم واملأ صدورنا إيمانًا بك وتوكلًا عليك، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.